

"الكيتش" الرداءة الخلافة بين ميلان كونديرا في روايته "كائن لا
تحتمل خفته" وسعيد صافي في روايته "الكيتش 2011"
"Kitch" the picturesque mediocrity between Milan Kundera
in his novel " The Unbearable Lightness of Being "and Said
Safi in his novel "Kitch 2011"

د. ويزة غربي*

تاريخ النشر: 2021/12/20	تاريخ القبول: 2021/05/09	تاريخ الإرسال: 2021/01/24
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

يتميز الفن في مرحلة ما بعد الحداثة؛ بالخروج عن المعايير المألوفة التي تحقق
مطلباً فنياً وجمالياً، درجت كل الفنون على الالتزام بها استجابة لمعايير الفن الجميل، ولكن
الرغبة في البحث عن البديل المغاير لما كان سائداً من معايير الجمال في مرحلة الحداثة،
دفع البعض إلى تبني رؤى مغايرة تماماً تسيطر عليها الصورة بدل الكلمة، ويتجلى ذلك في
التركيز عليها سواء في الإعلام، النحت، الأدب... لتصبح ثقافة القرن الواحد والعشرين
متشعبة بالصور، وهذا يتناسب بشكل خاص مع الطرح الذي يقدمه مفهوم "الكيتش"
باعتباره صورة طبق الأصل عن أعمال أصيلة، وقد ارتبط هذا المفهوم بظهور موجة فنية
أنتجت فنوناً وصفت حينها بالردئية، لأنها اعتمدت على التقليد والاستنساخ مما جعلها أقل
أصالة وأكثر سوقية.

الكلمات المفتاحية: الكيتش، التقليد، الاستنساخ، ما بعد الحداثة، الرداءة الخلافة.

ouizagharbi@yahoo.fr

المؤلف المرسل : ويزة غربي

* ويزة غربي ouizagharbi@yahoo.fr

Abstract:

Contemporary art in postmodernism is characterized by; Breaking out of the usual standards that achieve a technical and aesthetic demand, Which all the arts are accustomed to adhere to in accordance with the standards of fine art, But the desire to search for alternative variant of the prevailing standards of beauty in the stage of modernity, pushed to adopt completely different visions where the image dominate instead of the word, This is reflected in the focus on the image, whether in media, sculpture, literature ... To become a culture of the twenty-first century is saturated with pictures, This is especially relevant to the introduction of the concept of "kitsch" as a mirror image of authentic works, This concept was associated with the emergence of an artistic wave that produced a so-called bad art, because it relied on imitation and reproduction, making it less original and more market-oriented.

Key words: kitch, immitation, Reproduction, Postmodernism, Picturesque mediocrity

*** **

. مقدمة:

كثيرا ما نسمع عند محبي الفن الأصيل عبارة "زمن الفن الجميل"، للحديث عن زمن كانت للأشياء فيه قيمتها الفنية العالية الناتجة عن أصالتها وفرادتها، وقد ساد هذا الفكر الذي أطرته فلسفة الجمال بمعاييرها الثابتة، عبر تبني مفهوم الجميل بوصفه المنسجم والمتناسق والكلي كما جاء عند أفلاطون، في مرحلة الحداثة التي انتهت بعد الحرب العالمية الثانية، لينتقل العالم إلى مرحلة ما بعد الحداثة حيث هيمنت الصورة (1) خاصة بعد تطور وسائل الإعلام، وأصبحت تنازع اللغة في تنظيم حياة الإنسان، كما أصبحت هذه الصورة تستعمل لأغراض استهلاكية محضة، بفعل الجاذبية الاقتصادية التي لا تهتم بالأصالة استجابة للطلب المتزايد للأعمال الفنية في مختلف المجالات، فنقص الاهتمام

بجانبيها الجمالي الأصيل، والأصالة تستدعي القلة، ولكن لما يرتفع الطلب يزداد اللجوء إلى الاستنساخ كما يسميه "والتر بنيامين" بالاستعانة بالتقنية، وتتحكم فيه معايير اقتصادية هي التي تحدد قيمته، مما ينقص من أصالة هذه الأشياء التي تتضمن مفهوم الافتقار إلى الأصالة، وفي هذا المجال الاقتصادي الناتج عن الرأسمالية العالمية يظهر مفهوم "الكيتش" (kitch) بمحموله القدحي المرتبط بالرداءة والتفاهة، الذي انتقل إلى الأدب فتأثرت به الرواية العربية المعاصرة، منها رواية "الكيتش 2011" للروائي التونسي "سعيد صافي" صاحب مقولة "الربيع العربي" هي رواية تتناول الخيبات التالية لهذه الثورات، التي استلهم منها الروائي سعيد صافي عنوان روايته، يتراجع فيها عما أطلقه من تسمية على الثورات العربية بالربيع العربي، وقد سبقه "ميلان كونديرا" في استعمال كلمة "الكيتش" في روايته "كائن لا تحتمل خفته" حيث أعطى مفهومه للكيتش الذي يعادل عنده "النفائيات"، وهو المفهوم نفسه الذي انطلق منه سعيد صافي فبعد أن حملت هذه الثورات خلاف ما كان متوقعا لها، وأخرجت أسوأ ما في الأنظمة العربية المستبدة، ويعتبر سعيد صافي روايته "الكيتش 2011" تكفيرا عن الذنب الذي ارتكبه حين أطلق على هذه الثورات هذه التسمية، فكيف تجسد "الكيتش" في رواية "كائن لا تحتمل خفته" للروائي ميلان كونديرا، وكيف استثمره الروائي التونسي سعيد صافي لتشريح الواقع العربي بعد ربيعها في رواية "الكيتش 2011"؟

1- تعريف "الكيتش"

عرف معنى كلمة "الكيتش" غموضا كبيرا كبقية مفاهيم ما بعد الحداثة، بسبب تشعب المجالات التي يستخدم فيها، وتبسيطا لفهم معناها يمكن تقسيم التعاريف التي تناولت تحديد دلالاته إلى قسمين، قسم يعتمد على أحكام القيمة ويتناوله انطلاقا من ثنائية (تافه/ سامي) ومنها التعاريف التالية:

- "الكيتش" كلمة قليلة التداول مأخوذة من اللغة الألمانية" تستعمل كصفة

للذوق الرديئ المستفز، نشأت في إطار اقتصاد صناعي". (2)

- كما تطلق كذلك على تيار فني " ينتج متعمدا أعمالا ذات ذوق سيئ، تسمى كيتش وهي كلمة غير متداولة في اللغة اليومية، بالرغم من أنها تعين مجموعة أشياء جد

متداولة". (3)

ف"الكيتش" في مفهوم القسم الأول رديف للذوق الرديئ "وتنطبق صفة الرداءة على الأشياء السوقية ذات القيمة الأقل، لقد أطلق هذا المصطلح على المنتجات المستهلكة على نطاق شعبي واسع" (4) لقد بدأت كلمة الكيتش وهي تحمل دلالة السوق تعرف طريقها إلى مجال التداول، وتنتشر أكثر مع انتشار تيارات اجتماعية شعبية تروج للابتذال والسطحية، مما جعل هذه المفاهيم التي نشأت في أوساط اقتصادية، تنسحب على مجموعة من الفنون على يد مجموعة من الفنانين المعاصرين، لتدخل إلى مجال الفن المعاصر عموماً بمفاهيمها المتعارضة مع معايير الإستطيقا، لتصبح نماذج مخالفة للأعمال الفنية المتفردة، ذات القيمة العالية التي لا تخضع لتقدير، تجد نفسها في مواجهة لأعمال "الكيتش" التي تصنع بواسطة الاستنساخ الآلي، الذي يفقدها قيمتها" (5) إنه الإنتاج الفني الذي يفتقد إلى الدقة بسبب تركيزه على الكم، من أجل تلبية طلب أكبر عدد من الجمهور.

- ويتعد القسم الثاني عن معيار الرداءة والجودة في تحديد دلالة "الكيتش"، ويتناوله باعتباره مرتبطاً بحياة الإنسان اليومية، "فنحن نعيش في حياتنا العادية لحظات كثيرة من "الكيتش" بمفهومه البسيط الذي يصل أحياناً إلى حد التفاهة، بل هو الأصل في حياتنا أما حالات الإبداع النادرة، التي تخترق الزمان والمكان وتتجاوز كل قاعدة معيارية، فإنها نوع من الخلق الفوق الذي يتجاوز البشر العاديين". (6) فالأصل في حياتنا هو "الكيتش" الذي أصبح أمراً واقعا فرض وجوده انطلاقاً من اقتصاد السوق، الذي عرف انتعاشاً كبيراً بفضل انتشار الآلة، التي ساهمت في مضاعفة الإنتاج على حساب نوعيته، أما الإبداع فهو حالة خارقة خاصة لا يمكن القياس عليها، فالكيتش ظاهرة عامة وشاملة لكل حياة الإنسان" تميز حضارتنا كما تميز الإنسان سواء كان فنانياً، زاهداً، بطلاً، إلا وفيه شيء من الكيتش يعيشه في حياته اليومية... فلا يمكن تجاوز "الكيتش" ذي المفهوم الشمولي، والإفلات من قبضته لأنه هو الأصل في حياة الناس،" (7) ويظهر أن مفهوم الفن التافه الضيق الذي انحصر فيه "الكيتش" كان في بداية ظهوره في ألمانيا، إذ كان يطلق أحكام القيمة على بعض الأعمال الفنية، ولكن بدأ "حقله السيميائي يتوسع ويتجاوز حصره في مجموعة ثنائيات (الحقيقي، الخاطئ) (الأصلي، المزيف) (الأنيق، الأقل أناقة) ليصل إلى عالم الاقتصاد الذي ألغى مفهوم الأصيل و الحقيقي" (8) مما أدى إلى تماهي الأصيل بالمزيف في

مختلف الفنون، التي ترفض الذوق الرديئ "غير المعترف به، وهنا لا يطرح "الكيتش" بوصفه صنفا فنيا محددًا يتميز بالرداءة، بل أصبح الطريقة التي يوسع بها الفن حدوده، فهي طريقة لتأصيل المزيف، مما يؤهله أن يكون فنا" (9) إذ يتم نسف الفرق بين ما هو "كيتش" وما هو غير "كيتش"، فيصبح "الكيتش" بعد ذلك "الرداءة الخلافة. يؤخذ به المتلقي لأنه يصل إليه عبر مس عاطفة أو ذكرى... (10) وهكذا تتجسد المفارقة الكبيرة في تحديد مفهوم "الكيتش"، وهو ما يظهر في فن ما بعد الحداثة الذي يقاوم سلطة الفن الرفيع، ويتنكر للأنواع الفنية المصنفة كأنواع رفيعة المستوى، ويفسح المجال لظهور الفنون المبتدلة، ليس انتقاصًا من شأنها بل فنون فرضتها فلسفة ما بعد الحداثة التي لا تؤمن بأن "...إنتاج موضوع شئ" التي أصبحت تضحي بالكيف من أجل الكم، وبالتالي "إرساء جماليات الجماهير الشعبية يتم تحت شرط أنه ضروري وجيد في ذاته، لأن قيمته" (11) بطريقة "كيتش" بعد أن أدى echangeabilite... تتحدد في مدى قابليته للتبادل) الاستنساخ التقني للأعمال إلى "تبيع" فكرة الأصالة والتفرد، فأصبح كل شيء مباحا في الفن، ولم يعد ثمة مشكلة في الرداءة أو التفاهة أو التعبيرات العابرة أو توظيف النفايات في الحداثة... في مقابل العمل الفني الذي يعاد إنتاجه يدويًا، والذي يضيف عليه صفة (12) فيتحوّل الفرد إلى مجرد مستهلك لأشياء أعيد إنتاجها داخل ثقافة تؤمن. "التزوير.. بالصورة الاقتصادية التي تبتعد عن الفن الحقيقي، وبهذا صار الكيتش "إشارة معتمدة للأدب والفن الهابط وبهذا المعنى دخلت قاموس ما بعد الحداثي" (13) ولكنه لم يقتصر مفهومه على المجال الاقتصادي، بل انتقل إلى مجالات أخرى كالسياسة والأدب ولكنه رغم الاستعمالات المختلفة يبقى "يطرح جانبًا كل ما هو غير مقبول في الوجود الإنساني" (14)

2- الكيتش وثقافة الصورة الاقتصادية

تعتبر اليابان موطنًا لحركة الكيتش والأرض المقدسة لثقافة "الكاواي" (kawaii) المعاصرة) 15؛ التي استلهمت منها هذا المفهوم، بفضل "تاكاشي موراكامي" (Takashi Murakami) (16) الذي طور مؤسسة لترويج وبيع مواد مشتقة ومستنسخة عن مواد أخرى، إذ يذهب إلى القول بأن "ما يهم في الثقافة اليابانية هو الشعور بالتسطح في الفن،

لأن ثقافتنا ليست قائمة على الأبعاد الثلاثة (3 D)"⁽¹⁷⁾ لقد طور "تاكاشي موراكامي" هذا النظام الذي يسمح بإنتاج كمية أكبر من هذه المنتجات، وهنا يظهر مفهوم الإنتاج المسطح (superflat) فتصبح كل الفنون قائمة على قدم المساواة، إذ تنعدم التفرقة بين الفنان والحرفي وتلغى الحدود بينهما، ليجد العالم نفسه أمام أعمال "كيتش"⁽¹⁸⁾ تكتسح الأسواق الخاضعة للنظام الرأسمالي "الذي يروج لمثل هذه السلع الفنية استجابة للطلب المتزايد عليها، والمسطح (Superflat) حركة للفن المعاصر المتأثرة بالفن الشعبي الياباني، ومرجعياته التي تشير إلى أشكال مسطحة لفن الرسم الاستهلاكي الياباني، وكذا إلى سطحية الثقافة المستهلكة اليابانية، إذ يمزج (Superflat) بين جماليات الفنون الشعبية و"الكيتش" المستمد من ثقافة الكاواي"⁽¹⁹⁾ وقد تأثر "تاكاشي موراكامي" وهو رسام ياباني بعد رحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بمنجزات الأمريكي "جيف كونز" فقرر التخلي عن الرسم الياباني التقليدي، وتوجه نحو الفن المسمى أوكاتة (Otaku) واخترع نمطا جديدا من الرسم يدعى (le Superflaté) الناشئ عن فكرة أن الفن البصري الياباني لا يستنسخ باستعمال تقنية الأبعاد الثلاثة (3d)، بل يعتمد على مفهوم المسطح القائم على تقنية ثنائي الأبعاد (2d) وقد انتشر هذا المصطلح عام 2001، خلال معرض أقامه في لوس أنجلوس، حيث تم اعتماد هذا المفهوم (le Superflate) كمفهوم فني يرتبط عادة بإنتاج استهلاكي"⁽²⁰⁾ مما يؤكد الطابع السلعي والاستهلاكي للفن.

ويتحدث "جيف كونز" (Jeff Koons) عن فكرة "قبول أي شيء" (Acceptance of everything) وخلافا لموكرامي الذي جعل "الكيتش" في مرتبة أقل من الفن، جعله "جيف كونز" في مرتبة مساوية "للكيتش" الذي يرتقي عنده إلى مصاف الفنون، مما يسهل دخوله إلى السوق بطريقة أسرع انطلاقا من "مبدأ" "قبول أي شيء"، وهنا يتجسد المظهر الاحتياالي لخطاب الفنان الذي يريد أن يتجنب أحكام القيمة التي تطلق على أعماله، لأنه تحايل على صرامة المعايير التي تقيد الفن، مما يجعل أعماله مقبولة في السوق، باستخدام تقنيات الاتصالات التجارية، واستبعاد العمل اليدوي الذي يعطي قيمة للعمل الفني."⁽²¹⁾ (ولكن العمل اليدوي بطيء من حيث الإنتاج والتسويق وناقص من حيث التكلفة، لذا يلجأ المختصون إلى الاستعانة بالتقنية من أجل تجاوز ذلك.

لقد كان مفهوم "المسطح" كما جاء عند موكرامي وظهور مبدأ "قبول كل شيء" "لكونز" من أهم المرجعيات التي أسست لمفهوم "الكيتش"، باعتبارها مفاهيم تحيل إلى المبتذل والتافه، الذي فقد "هالته" كما أطلق عليها "والتر بنيامين" ويقصد بالهالة "أو" aura، وهو مفهوم استخدمه "والتر بنيامين" في أعماله الأدبية والفنية... وهالة أي عمل فني يمكن أن تتبدى من خلال حقيقته وفرادته وترفعه (22) وهو ما يصنع العمل الفني الأصيل في طبيعته المتفردة، التي تشكل هالته وهو عنصر لا يمكن إدراكه إلا بارتباطه بسياق طقس سحري ينبثق أصلا من العمل الفني نفسه، لأن الهالة لا مثيل لها في أي عمل (23) ويرى بنيامين أن "هالة الأعمال الفنية قد تولدت في العصر الحديث، بسبب التقنية وما أحدثته من تغيير في قيمة الأشياء الفنية التي لم تتعرض إلى هذه الدرجة من إعادة إنتاجها ميكانيكيا" (24) مثلما تعرضت له في العصر الحديث، "ففي غياب المعايير الاستيطيقية، يبقى من الممكن والمفيد قياس الأعمال بالفائدة التي تجنحها" (25) لقد أدى هذا الاستنساخ الآلي للفنون إلى تغليب الجانب السلبي على الفن، على حساب أصالته التي طالها التشويه، وبدأت تزول بسبب استعمال التكنولوجيا. ويوضح "والتر بنيامين" بأن ما "يتحدث عنه هو التلوث والتحويل النهائي للفن عن طريق التكنولوجيا." (26) التي أحدثت أزمة في الفن المعاصر خاصة، لم تقتصر على الرسم والنحت والتصوير، بل وصلت إلى الأدب الذي تأثر بمفهوم "الكيتش" في مرحلة ما بعد الحداثة بعد سقوط السرديات الكبرى، و تراجع الكثير من مقولاتها اليقينية الثابتة، وسيطرة السرديات الصغرى بعد تبدد أوهام الحداثة القائمة على تمجيد العقل، ومن ثم زعزعة أفكار الحداثة ورفع القداسة عنها، ويمكن اعتبار السرديات الصغرى كسردية بديلة" تسعى إلى نقض أقانيم السرديات الكبرى عن التحرير والتنوير والسلام والعدل والحق والخير والجمال،.. بالمعنى الذي أرسنه فلسفة الحداثة (27) فقد تأسست الحداثة على مبادئ هامة ميزتها هي " التقنية، العلم الرياضي، ارتباط الفن بعلم الجمال، ظهور الثقافة و أقول المعاني القدسية الكبرى" (28) " ويأتي "الكيتش" ضمن المفاهيم التي تأثرت بها بعض الأعمال الروائية العربية منها رواية "الكيتش" للروائي التونسي سعيد صافي، وقد استعملها قبله الروائي "ميلان كونديرا" في روايته "كائن لا تحتمل خفته"، حيث انتقل مفهوم الكيتش

من الرداءة الخلافة للأشياء، إلى أن أصبح الكيتش يتعلق بموقف وتصرف يتخذه الشخص تجاه هذه الأشياء التي يخفي بريقها الرداءة.

3- الكيتش في مرحلة ما بعد الحداثة وسيطرة مفهوم الكليشيمات

جاءت مرحلة ما بعد الحداثة مغايرة لمرحلة الحداثة ومهاجمة للكثير من مفاهيمها، وفي هذا السياق ظهرت كلمة "كيتش" التي عرفت طريقها للاستعمال وجاءت تحمل تحذيرا مضمونه "أيا يكن ما تفعله، حذار أن يكون (كيتش)، تلك هي القاعدة الأولى التي أصبح كل فنان حدائي يلتزم بها أيا يكن الوسيط الفني الذي يستخدمه". (29) خاصة بعد أن ترسخ مفهوم الكيتش نسبيا في هذه المرحلة على أنه فن زائف تسيطر عليه الكليشيمات (30) وما تمنحه من شعور مغلط تجاه تلك الأشياء بالرضا "فعوضا عن أن يسعى الفنان إلى استكشاف القلب البشري، فإنه يخلق بديلا له مفرط الضخامة والخواء، ثم يطرحه للبيع في الأسواق". (31) أي استبدال الحقيقي بالمزيف.

لقد عرف مفهوم الكيتش تطورا كبيرا منذ أن استعمله لأول مرة الكاتب ميلان كونديرا في روايته "كائن لا تحتمل خفته"، ويحدد معناها بقوله: "كيتش هي كلمة ألمانية ظهرت في أواسط القرن التاسع عشر العاطفي، ثم انتشرت بعد ذلك في جميع اللغات" (32) ويحدد ميلان كونديرا في كتابه "كائن لا تحتمل خفته" مفهومه للكيتش المرتبط بموقف البشر المصطنع تجاه الأشياء، وليس بالأشياء نفسها فيقول: "الكيتش يجعلنا نذرف دمعين متتاليتين، الدمعة الأولى تقول: "كم هو جميل منظر الأطفال وهم يركضون على العشب!" بينما تقول الثانية: "كم هو جميل أن تتأثر مشاعرنا، نحن والبشرية بأسرها، بمنظر الأطفال وهم يركضون على العشب!" وبكلمات أخرى، فإن الكيتش يتعلق بالذات الراهية، وليس بموضوع الرؤية. ولا يحثك على التأثر بمنظر الدمية وأنت تلبسها ثيابها بحنو شديد، بل التأثر بمنظر وأنت تفعل ذلك، وهذا بالضبط هو شأن كل نزعة عاطفية مفرطة: فهي تُغيّر اتجاه المشاعر من الموضوع إلى الذات، بحيث تخلق إيهاما بالعاطفة بدون تكبد مشقة الشعور بها، فالكيتش يحثك على أن تفكر: "انظر إلي وأنا أشعر بهذا - كم أنا جميل وحبوب..." (33) فالصورة الأولى تنقل لنا منظر الأطفال وهم يلعبون على العشب، وهي صورة عادية، أما الصورة الثانية فهي مختلفة تماما رغم أنها تنقل المشهد نفسه، ولكن

هذه المرة لا يتم التركيز على الأطفال وهم موضوع الصورة، بل يتم التركيز على الذات التي ترى الصورة ورد فعلها، وهنا تظهر هذه العاطفة المفرطة ونحن نشاهد الأشياء ونتأثر بها بطريقة مبالغ فيها بطريقة كيتش لأنك تطلب ممن يراك أن يسجل شعورك الجميل وأنت تفعل تلك الأشياء، أي انظروا إلى إحساسي وأنا أقوم بهذه الأشياء الجميلة، وسجلوا كم أنا حساس وحبوب، إنها نزعة عاطفية مفرطة "أساسها المبالغة بالمشاعر وتبني الحكايات الرسمية والأمجاد... كما نرى حكايات عن الانتصار المفرط في رومانسيته، ومقاومة الأعداء حتى آخر نفس، هذه الأشكال تركز على "فضيلة" التضحية... لا يهم النصر أو الهزيمة، بل تلك النزعة المفرطة لفاء الجميع بحياة واحدة، حياة جندي، أو قائد، أو بطل، هي تحتفي بالنشوة في اللحظات الملحمية، تلك التي تنتصر فيها "المعاناة" و"التضحية".⁽³⁴⁾ بعيدا عن الانتصار أو الهزيمة.

لقد عرف هذا المصطلح انتشارا في المجال السياسي حتى صار "الكيتش هو المثل الأعلى لكل السياسيين ولكل الحركات السياسية"⁽³⁵⁾ فقد استخدمته أروى صالح في كتابها "المبتسرون" وتحدثت عن "الكيتش النضالي"⁽³⁶⁾ حيث يقع المناضلون عبر العالم في وهم السلطة التي ترسخ في أذهانهم كذبة الخلاص الجماعي، في واقع تتبنى فيه هذه السلطة خطابا وطنيا رنانا يتغنى بالعدالة والحرية، وهو "نوع من الكيتش السياسي الذي يستخدمه رجال السياسة للتلاعب بمشاعر الجماهير، إذ تبحث الأنظمة الاستبدادية عن توصيل موضوعاتها ببراعة"⁽³⁷⁾ في واقع سيئ يحاول المسؤول فيه إيهام المواطن بخطاب مزيف تجعله "يقامر حتى بوجودك كله في لحظة، وهو ما يفعله المناضلون في لحظة انتشاء"⁽³⁸⁾ وفي الحقيقة، الأمر خلاف لذلك فيتحول الواقع إلى كيتش بسبب الكذب والتزييف، فيصبح هذا التزييف الذي تمارسه السلطة "كيتش نضالي" يتحول إلى عقيدة لكل السياسيين الذين يتخذون منه تبريرا لكل تصرفاتهم الإجرامية، في حق الشعوب التي تكتفي عندها بتمجيد الحكام ومساندتهم في مشاريعهم التي تضع الشعوب على الهامش خاصة" في البلدان التي يستأثر فيها حزب سياسي بالسلطة كلها، نجد أنفسنا حالا في مملكة الكيتش الديكتاتورية"⁽³⁹⁾ "لأن الخضوع التام لإرادة الحكام هو السلوك المثالي للمواطن الذي تريده

السلطة. فتصبح الأوطان التي تتهاوى الأرواح دفاعا عنها مقابر للمخلصين وعندها يصبح الكيتش "قناع يخفي وراءه الموت"⁽⁴⁰⁾

4- "الكيتش" عند سعيد صافي في روايته "الكيتش 2011"

أفرزت مرحلة ما بعد الحداثة مجتمعا استهلاكيا قام بتسليع الثقافة، لقد أصبح الفن خاضعا لآليات السوق التي تتحكم في الفنان الذي أصبح خادما لجمهور يضي على الأعمال الفنية بريقا خادعا من أجل تسويقها في واقع يعيش إفلاسا إيديولوجيا، اقتصاديا وفتيا، جعلت العالم يعيش أزمة حقيقية للقيم التي انقلبت معايرها، خاصة في الوطن العربي بشكل عام وفي تونس على سبيل التمثيل، وقد أفرز هذا الوضع أدبا مستوحى من المأساة التي عاشها الشعب التونسي، ما زالت آثارها مستمرة إلى الآن، فلقد أفرزت انتفاضة يناير 2011 الكثير من الظواهر والمآسي بسبب الصراعات على السلطة، فظهرت عديد الإبداعات الأدبية التي تناولت هذا الواقع المنهار، منها رواية الصحفي والروائي التونسي صافي سعيد "الكيتش 2011" إذ يرى "أن ما يمر به العرب منذ 2011 وحتى الآن، لا يمكن أن يسمى بالربيع، إنما هو حفل شواء للعرب" (41) لقد أطلق على الثورة التونسية اسم ثورة الياسمين كما يسميها البعض، والتي أنهت 23 عاما من الحكم المستبد بفضل احتجاجات شعبية في كل البلاد. ويستهل الروائي صافي سعيد الذي أطلق على الثورات العربية اسم "الربيع العربي"، إذ تنسب له هذه المقولة المتفائلة التي آمنت بمرحلة قادمة، تحمل نسمات الحرية للشعوب العربية المقهورة، ولكنه تراجع عن هذه التسمية لما تبين له بأن الربيع الذي كان يحلم به كأبي مواطن عربي، أصبح سرابا وواقعا أسود زاد النفوس نقمة واحتقانا، وقد عبر سعيد صافي عن خيبته وخيبة الشعوب العربية في تحقيق الديمقراطية، فقد أصبح الربيع شتاء وتبددت الأحلام وصارت أوهاما، لقد أصبح الحلم العربي "كيتش" كشف عن واقع قاتم كان المواطن العربي يرى فيه بريقا ظاهريا خدع الأبصار، وهو في حقيقته لمعان يخفي واقعا مزيفا ظاهره الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والنخوة العربية والأخوة والمساواة، وباطنه الديكتاتورية والظلم والبطش والإقصاء، يصور الروائي جانبا من واقع الشعوب العربية فيقول: "البجعات يتراقصن حول المياه باحثات عن الانبثاق أي الوجود الحر" (42) ويتناسب هذا الواقع مع المعنى الذي يحمله لفظ

"الكيتش"، المرتبط بمفهوم النفايات كحقيقة وجوهر للأشياء التي نعتقد أنها خلافة وجميلة لبريقها وهي خلاف ذلك تماما، وقد حدد السعيد صافي مفهوم الكيتش "في بداية روايته "الكيتش 2011" بقوله: "الكيتش هو أن تكون نفاية دون أن ترى نفسك نفاية إلا حين يبدأ عمال التنظيفات في جمع النفايات" (43) حيث يعلن تراجعته عن تسميته للثورات العربية بالربيع العربي، ليصرح بأن ما حدث كان مجرد نفايات، فيأتي "الكيتش" عنده في تقابل متناقض مع ما أسماه بالربيع العربي في البداية، ويكشف للمواطن العربي سواء في تونس، مصر، ليبيا، سوريا، عن هشاشة الحلم العربي الذي كان يتطلع إلى وطن أجمل، وتصبح فكرة "الخلاص الجماعي التي يعتنقها الحاملون بعالم أكثر عدلا كثيرا ما تجعل منا في النهاية مغفلين أو تعساء. يبدأ الشعور بالكيتش أي الرداءة والنذالة في لحظة التعارض بين أنفسنا والعالم، وأنداك يبدأ الإحساس بأنك خارج السياق." (44) ودليل ذلك أن الشعوب العربية لا تتردد في الاعتراف بأنها كانت أفضل حال مما هي عليه الآن، سواء في تونس، العراق، سوريا، ليبيا، لقد انتهى الربيع العربي إلى خيبة أمل فلم يعد ربيعا كما أطلق عليه. إذ يشير الكاتب إلى انطلاق المظاهرات والانتفاضات الشعبية التي حملت آمالا بالانفتاح والتحرر، بإسقاط الأنظمة الدكتاتورية، ولكنها لم تجن في نهاية المطاف إلا تدهورا على كل الأصعدة، لقد أدت هذه الانتفاضات إلى اضطرابات كبيرة بعد سقوط الحكم الشمولي، وفسح المجال لأنظمة أخرى أكثر تطرفا واستبدادا ورفضاً لأي إصلاح ديمقراطي في العالم العربي. إن النضال الذي يمارسه المناضلون المخلصون في كل البلدان التي تتسلط فيها الأنظمة على شعوبها، حيث تسعى هذه إلى فرض مشروعها السياسي، وإقناع الشعوب بأنها الوحيدة القادرة على تخليصهم من التخلف ونشر العدالة والحرية، ولكنها في حقيقة أمرها لا يعدو مشروعها هذا أن يكون مجرد ذر للرماد في العيون، وجرعة زائدة لتخدير الشعوب المغلوبة على أمرها، عن طريق خطابات الثقافة الجماهيرية.

تقدم رواية "الكيتش 2011" صورة بانورامية تسرد ما حدث في تونس، مصر، ليبيا، اليمن، سوريا من ثورات كواقع مشترك ومتشابه عاشته شعوب هذه الدول، وتقف خلف هذه الأحداث المتتالية "دولة ما بين النهرين الإسلامية" التي ساهمت في تأسيسها قطر، السعودية، تركيا، والكيان الصهيوني، برئاسة عراقية، فقد قام المهندس العراقي "عبد الرزاق" بمساعدة هذه الدول في إنشائها، وهو "الخليط - أو المؤامرة - التي أنتجت ما

يسميه الراوي على لسان أبطاله بالكييتش... وفي كل ذلك لا يدين ما يسمى بالربيع العربي، بقدر ما يدين العشوائية والارتجالية والمحاكاة الركيكة فالمصريون والليبيون والسوريون واليمنيون أخذوا النموذج التونسي بمنطق إذا كانوا قد نجحوا فلماذا لا ننجح نحن، فكانت النتيجة أنهم تخلصوا من قهر بسيط اسمه الاستبداد، لينتقلوا إلى قهر مركب اسمه الديمقراطية العربية المعجونة بالإرهاب والدماء (45) فبدل الانتقال إلى الديمقراطية انحرفت العملية عن مسارها بسبب عدم الوفاء بالوعود، وأرست قواعد حكم أكثر بطشا فتتحقق مقولة "ليس كل ما يلمع ذهباً"

خاتمة

تستند ما بعد الحداثة في صناعتها للفنون على لنوع من الابتدال والتدني، مما يضيف عليها طابعا تجاريا واستهلاكيا، فيظهر ما يسمى "فنون الكييتش"، كأعمال شعبية ومبتذلة ارتبطت بطبقة اجتماعية لا تهتم بأصالة هذه الفنون، بل تروج للمبتذل منها، انطلاقا مما تقدمه من أرباح وليس ما تقدمه من متعة فنية، إذ يدمج الفن داخل منظومة الإنتاج العام للبضائع الاستهلاكية، فتسيطر على عالم الفن مجموعة من الأعمال التافهة التي حاولت مرحلة ما بعد الحداثة إعادة الاعتبار لمثل هذا النوع من الأعمال الخالية من القيمة الفنية، وقد تأثر صافي سعيد بهذا المفهوم في روايته "الكييتش" التي يسرد من خلالها واقعا سياسيا واقتصاديا لبعض الدول العربية التي مسها الربيع العربي، الذي أحدث مفارقة تاريخية عجيبة في مسارها؛ ففي الوقت الذي كانت الشعوب تطمح إلى الخروج من سطوة نظام مستبد، وتحقيق التغيير بفضل هذه الثورات، ولكنها خلافا لذلك تقع في مأزق سياسي اجتماعي اقتصادي أسوأ من الأول، فتحدث الصدمة، وتعم الخيبة آمال شعوب ما ثارت إلا لتحسين أوضاعها، إنها العودة إلى الوراء، لأننا في زمن الكييتش الذي يصبح "للكليشيات" فيه أثر أكبر وأعمق من الصورة الأصل.

الهوامش

- 1- يقوم فكر ما بعد الحداثة على مجموعة من المرتكزات؛ التي خالفت بها مرحلة * الحداثة، فقد ركزت ما بعد الحداثة على تفكيك المقولات المركزية الغربية الكبرى

كاللوعوس، الهوية، الحقيقة، الانغلاق، المركز، الميثولوجيا البيضاء، الحضور والغياب، الدال والمدلول، وبدأ الاهتمام بالخصوصيات والثقافات المحلية، وبالمهمشين والمنبوذين، وكذا بالتافه، والكيتش وهي الموضوعات التي تناولتها السرديات الصغرى في مرحلة ما بعد الحداثة، بعد تراجع السرديات الكبرى ومقولاتها المركزية الثابتة، التي لم تعد توائم فلسفة القرن الواحد والعشرين.

²-Abraham Moles, Qu'est-ce que le Kitsch ?, Communication & Langues Année 1971 9 pp. 74-87, <https://www.persee.fr/doc/colan>

³-Abraham Moles , ibid.

⁴ - GREGOIRE VON MUCKENSTURM, Le Kitsch : le mauvais goût à l'œuvre, Publié le 1 octobre 2018 par ,<https://unphilosophe.com/2018/10/01/>

⁵- GREGOIRE VON MUCKENSTURM, , ibid.

⁶-Abraham Moles, ibid.

⁷-Abraham Moles, ibid.

8-Christophe GENIN: Le devenir kitsch: un modèle global pour nos sociétés? 9
<http://www.ccic-cerisy.asso.fr/kitsch1>

⁹ Jean Robeli, Le kitsch ou l'authenticité de l'inauthentique, p. 203-217,
<https://journals.openedition.org/noesis/1902>

¹⁰ - هلال شومان، الكيتش، <http://www.hilalchouman.com>

¹¹- جان فرانسوا ليوتار، في معنى ما بعد الحداثة نصوص في الفلسفة والفن، المركز الثقافي العربي المغرب، انتقاء ترجمة وتعريب السعيد لبيب، مراجعة عبد العالي معزوز، ط1، 2019، ص23.

12 - شوقي نجم، مستقبل الثقافة في العالم، زمن ضياع الهالة،
<http://www.qenshrin.com>

- 13- أروى صالح، المبتسرون دفاتر واحدة من جيل الحركة الطلابية، دار النشر الإلكتروني، 1989، ص9.
- ¹⁴ ميلان كونديرا، كائن لا تحتل خفته، ترجمة ماري طوق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1998، ص 10.
- ¹⁵ أصبحت الكاواي منذ السبعينات من سمات الثقافة الشعبية اليابانية، فنراها في الترفيه، الثياب، الغذاء، الألعاب، بل حتى في المظهر الشخصي والسلوك، فكل شيء حولهم لا بد وأن يصنع أو يستخدم بأسلوب الكاواي، التي تشير في اللغة اليابانية إلى "الظرافة": أي السلوك والمظهر والشيء اللطيف بأسلوب طفولي: راجع الموقع: <http://www.asiaholic.net>
- 16- يستخدم مصطلحي D 2 و D 3 للإشارة إلى (تقنية صورة الرسوم graphic image technology)، مثل التصوير الفوتوغرافي، والرسوم المتحركة، و(رسوم الكمبيوتر (computer graphics)، إذ أنه في أفلام D3 تمثل الشخصيات والأحداث بعناصر ثلاثية البعد، والتي هي أشبه بكثير لما نراه في الحياة الحقيقية، بدلا من الصور المسطحة التقليدية ذات تقنية D.2 أنظر الموقع: <https://ibelieveinisci.com>
- 17-Superflat : Historique des versions, <https://fr.wikipedia.org/wiki/Superflat>
- 18-Superflat, Historique des versions, <https://fr.wikipedia.org/wiki/Superflat>.
- 19- Superflat, *ibid*.
- 20-Superflat, *ibid*.
- 21-Takashi Murakami : Superflat, <https://en.wikipedia.org/wiki/Superflat>.
- 22- إبراهيم الحيدري، والتر بنيامين وهالة العمل الفني. 10 أبريل 2012، <http://www.alhayat.com/article>.
- 23- إبراهيم الحيدري، المصدر نفسه.
- 24- Walter Benjamin, L'oeuvre d'art a l'epoque de S8 reproduction mecanisee, p 49, <https://monoskop.org/images>
- 25- جان فرانسوا ليوتار، المرجع نفسه، ص 8.
- 26- يحيى بن الوليد، فالتر بنيامين... تأملات في استنساخ الفن وهبوط الجمال، 23 ديسمبر 2017، <https://www.alaraby.co.uk/diffah/opinions>.
- 27- سرديات بديلة قراءة في النظرية والتطبيق، 1 يناير، 2011: www.nizwa.com.
- 28- محمد سبيلا، الحداثة و ما بعد الحداثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص54.

- 04-2019-04: روجر سكروتون، سطوة الكيتش التي تتحدى الزمن، ترجمة: سامح سمير، تاريخ النشر: التاريخ
<https://boringbooks.net/2019/04/scruton-power-of-kitsch.html>
- 30- فبوسعنا جميعاً أن نتعرف على «الكيتش» بمجرد أن تقع عيوننا عليه: دمية باربي، الغزالة بامي (والث ديزني)، تماثيل ودمى سانتا كلوز المعروضة في السوبر ماركت. وفي فترة الكريسماس، يحاصرنا الكيتش من كل ناحية – كليشمات مستهلكة، فقدت براءتها بدون أن تحوز الحكمة. فالأطفال الذين يؤمنون بسانتا كلوز يستثمرون طاقة عاطفية حقيقية في شيء خيالي. أما نحن، الذين فقدنا إيماننا، فليس لدينا ما نقدمه سوى مشاعر زائفة. بيد أن الزيف محبب إلى النفس، والتظاهر والادعاء يمنحنا شعوراً طيباً، وعندما نشارك جميعاً فيهما، يبدو الأمر وكأنه يكاد يخلو تماماً من أي تظاهر وادعاء. انظر:
<https://boringbooks.net/2019/04/scruton-power-of-kitsch.html>
- 31- روجر سكروتون، سطوة الكيتش التي تتحدى الزمن، ترجمة: سامح سمير، تاريخ النشر: التاريخ-2019-04:
<https://boringbooks.net/2019/04/scruton-power-of-kitsch.html>
- 32- ميلان كونديرا، كائن لا تحتمل خفته، ترجمة ماري طوق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1998، ص 6.
- 33- ميلان كونديرا، المصدر السابق، ص 22.
- 34- عمار المأمون، الذوق الوطني... لعنة الكيتش وهيبة السيادة.:17:00-2019-11-22
<https://rommanmag.com/view/posts/postDetails?id=5499>
- 35- أروى صالح، المبتسرون دفاتر واحدة من جيل الحركة الطلابية، دار النشر الإلكتروني، 1989، ص9.
- 36- أروى صالح، المصدر السابق، ص8.
- 37- تورستن بودتزي يعرف مصطلح «الكيتش» بمعرض القاهرة للكتاب، بوابة الوسط | الإثنين 28 يناير
2019، 04:08 مساءً، <http://alwasat.ly/news/art-culture/234174>
- 38- أروى صالح، المصدر نفسه، ص9.
- 39- ميلان كونديرا، المصدر نفسه، ص10.
- 40- أروى صالح، المصدر نفسه، ص9.

41- صافي سعيد، الثورات أصبحت "حفل شواء" للعرب.. و"الربيع العربي" تحول إلى موسم صناعة الأكاذيب والخزعات، 16:11/94688811/news/details/94688811:16 الأحد 31 يناير 2016.

42- الصافي سعيد، الكيتش 2011، سوتيميديا ناشرون عرب تونس، ط 1 سبتمبر 2016، ص 23.

43- الصافي سعيد، المصدر السابق، ص 9.

44- كرم نعمة، الصافي سعيد كاتب ناغم لا يتردد في مرقصة التاريخ، الأحد 11/2016/
<https://alarab.co.uk> 27

45- الطاهر عبد الرحمن، الكيتش 2011 : نفايات العرب، <http://old.hawa2.com>.